

أنبياء الله إسحاق وذو الكفل وهارون واليسع عليهم السلام في القرآن الكريم

د. إنعام محمد أحمد عثمان

مستخلص البحث

الحمد لله وحده والسلام على من لا نبي بعده نبينا ورسولنا محمد -
ﷺ - وعلى آله وصحبه. وبعد

لقد قامت الباحثة بهذا البحث الذي هو بعنوان أنبياء الله إسحاق وذو الكفل وهارون واليسع عليهم السلام. وقد قسمت البحث إلى مبحثين المبحث الأول عن إسحاق وذو الكفل عليهما السلام وتحدثت في هذا المبحث عن نسب إسحاق ونسب ذو الكفل عليهما السلام. والمبحث الثاني عن هارون واليسع عليهما السلام. وتحدثت في هذا المبحث عن نسب هارون عليه السلام ودعوة هارون عليه السلام وعن نسب اليسع عليه السلام. ومن أهم التوصيات أوصي الاهتمام بدراسة سير أنبياء الله.

Abstract

Praise to Allah alone , and peace of Prophet Mohammed Nbebna and peace be upon him and Family and Companions.

The researcher conducted the research under the title Prophet of God Isaac Zulkifli Aaron Elisha peace upon them. She divided the research into two Chapters. She discussed in Chapter one Isaac Zulkifli peace upon them. She Spoke about the maternity of Isaac and Zulkifli peace upon them. Chapter two discussed Aaron Elisha peace upon them. she talked the maternity of Aaron and his dawa and maternity of Elisha. she came out with a very important recommendation Saying that we must take care of life of Prophets of God.

المقدمة :

أنبياء الله تعالى ، هم رُسله إلى البشر وهم أساساً بشر غير أنهم أنقى البشر.

حقيقة الأنبياء أنهم خير البشر ولكنهم في نهاية الأمر بشر يمشون في الأسواق ويأكلون الطعام ويعيشون ويموتون.

لا يختارون أنفسهم للرسالة ، لا يصلون إلى الرسالة نتيجة كسب وقصد أو جهد أو اختيار . إنما يختارهم الله . يختارهم لعلمه السابق أنهم أنقى من في الوجود ، وأفضل . تستوي في ذلك عقولهم وقلوبهم . بعدها يبعث إليهم رسالاته . ويضيفهم الله إلى نفسه تشرifaً وتكريماً . فيسميهم رُسل الله .

المبحث الأول

إسحاق وذو الكفل عليهما السلام

المطلب الأول :

نسب إسحاق عليه السلام :

إسحاق بن إبراهيم بن آزر. (٢)

وردت البشارة بإسحاق في عدة سور من القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَنْوِيْلَتِي ۗ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * ﴾ . سورة هود ، الآيات من ٦٩ إلى ٧٣ .

يقول تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا) وهم الملائكة (إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى) قيل تبشره بإسحاق وقيل بهلاك قوم لوط ، ويشهد للأول قوله تعالى (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ)

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (قَالُوا سَلِمًا قَالَ سَلِمْتُ) أي عليكم ، هذا أحسن مما حيوه به لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام (فَمَا لِيثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ) أي ذهب سريعاً فأتاهم بالضيافة وهو عجل فتى البقر حنيز مشوي على الرضف وهي الحجارة المحماة. (فَمَلَأَ آيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكْرَهُمْ) تنكرهم (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه فلماذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) قال السُّدي لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صور رجال شباب حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه فلما رآهم أجلمهم ﴿ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ فذبحه ثم شواه في الرضف واتاهاهم به فقعد معهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول وامراته قائمة وهو جالس ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ قالوا يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاماً إلا بشمن ، قال فإن لهذا ثمناً ، قالوا وما ثمنه؟ تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره (فَمَلَأَ آيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكْرَهُمْ) يقول فلما رآهم لا يأكلون فرح منهم وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت سارة أنه قد أكرمهم

وقامت تخدمهم ضحكت وقالت عجباً لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقوله تعالى إخباراً عن الملائكة (قَالُوا لَا تَخَفْ) أي قالوا لا تخف منا إنا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم ، فضحكت سارة استبشاراً بهلاكهم لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم ، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد اليأس (فَبَشِّرْهُنَّ بِأَسْحَاقٍ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) أي بولد يكون له ولد وعقب ونسل فإن يعقوب ولد إسحاق. (قَالَتْ يَتُوبَلَيَّ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب (قَالُوا أَنْتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي قالت الملائكة لها لا تعجبي من أمر الله فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فلا تعجبي وإن كنت عجوزاً عقيماً وبعلك شيخاً كبيراً فإن الله على ما يشاء قدير (رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) أي هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود ومجد في صفاته وذاته. (٣)

قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ * قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نَبِّشْرُكَ بِعَلْمِ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا

الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ
 أَجْمَعِينَ * إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا مِنَّا الْغَيْرِينَ * ﴿٥١﴾ سورة الحجر ،
 الآيات من ٥١ - ٦٠ .

(وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ
 وَجِلُونَ * قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) وهكذا عجلوا له
 البشرى . (قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُبَشِّرُونَ) فقد
 استبعد إبراهيم في أول الأمر أن يرزق بولد وقد مسه الكبر (قَالُوا
 بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ) أي من اليائسين . فآب
 إبراهيم سريعاً ونفى عن نفسه القنوط من رحمة الله . (قَالَ وَمَنْ
 يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) وبرزت كلمة (الرحمة) وبرت
 معها الحقيقة الكلية: أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون . عن
 طريق الله الذين يستروحون روحه ، ولا يحسنون رحمته ، ولا
 يستشعرون رأفته وبره ورعايته فأما القلب الندي بالإيمان المتصل
 بالرحمن فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد ، ومهما
 ادلهمت حوله الخطوب ، ومهما غام الجو وتلبد ، وغاب وجه الأمل
 في ظلام الحاضر وثقل هذا الواقع الظاهر . فإن رحمة الله قريب من

قلوب المؤمنين المهتدين. وقدرة الله تنشئ الأسباب كما تنشئ النتائج ، وتغير الواقع كما تغير الموعد.

وهنا وقد اطمأن إبراهيم إلى الملائكة وثابت نفسه واطمأنت للبشرى راح يستطلع سبب مجيئهم وغايته : (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * وَإِلَّا أَل لُّوطِ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا أَمْرًا تَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) .

يصل إخبار الملائكة له ، بالنبا كله. ذلك أنه يصدق رحمة الله بلوط وأهله وعذابه لامراته وقومه. (٤)

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَافَتٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * ﴾ . سورة الذاريات ، الآيات من ٢٤ إلى ٣٠ .

(هَلْ أَنْتَ) خطاب للنبي - ﷺ - (حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) وهي ملائكة (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أي هذا اللفظ (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) لا نعرفهم قال ذلك في نفسه.

(فَرَاغَ) مال (إِلَى أَهْلِيهِ) سرّاً (فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا (فَأَوْجَسَ) أضمر في نفسه (مِنْهُمْ خِيْفَةٌ قَالُوا لَا تَخَفْ) إنا رُسل ربك (وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) ذي علم كثير. (فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ) سارة (فِي صَرْقٍ) صيحة حال أي جاءت صائحة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) لطمته (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) لم تلد قط (قَالُوا كَذَلِكَ) مثل قولنا في البشارة (قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) في صنعه (الْعَلِيمُ) بخلقه. (٥)

فالغلام العليم هو إسحاق. والعليم اسم من أسماء الله الحسنى ، وتدور لفظ العليم ، عليم وعليماناً في القرآن كله ١٦٢ مرة منها ١٥٣ لا يطلق إلا على رب العزة ، وكلها تفيد الإحاطة بكل شيء والشمول لكل شيء والهيمنة على كل المخلوقات ، والخبرة بكل الكائنات الكليات منها والجزئيات ، الظواهر منها والغيبات.

أما باقي المرات التسع للفظ عليم ، فقد دارت على البشر أجمعين بما يفيد التمكّن والإحاطة بقدر الطاقة البشرية ، وبما يفيد دقة التخطيط والتطبيق العلمي والعملي والتكنولوجي والتنفيذ وبما يفيد الكيد والتخطيط الشرير والتلاعب بعيون الناس وأفكارهم ، والكذب والإفساد ، وبما يفيد عدم الاستقرار إلى بداية تعليمية ، وعدم الاطمئنان للوصول إلى نهاية علمية. وهذا الذي نستطيع فهمه الآن من دوران لفظ (أَلْعَلِيمُ) في القرآن على مختلف أفراد بين الإنسان. (٦)

وورد ذكره في جملة الأنبياء الذي يجب الإيمان بما أنزل إليهم ، قال الله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَدِينَا إِلَّا بِلِقَاءِ رَبِّنَا إِنَّنَا بِرَبِّهِمْ كَانُوا مُشْفِقِينَ ﴾ . سورة البقرة ، الآية : ١٣٦ .

وورد ذكره أيضاً هو وأبيه إبراهيم وولده يعقوب في عدا الرُّسل الذين أمر النبي - ﷺ - أن يذكرهم لما لهم من شأن عظيم في مقام الدعوة والقدوة الحسنة فقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرَ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ
عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * ﴿٤٥﴾
سورة ص ، الآيات ٤٥-٤٧ .

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين
(وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرَ) يعني بذلك
العمل الصالح والعمل النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة. عن
ابن عباس -رضي الله عنهما- (أُولَى الْأَيْدِي) يقول أولي القوة
(وَالْأَبْصَرَ) يقول الفقه في الدين.

وقوله تعالى : (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال مجاهد أي
جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم غيرها ، وقال مالك بن دينار نزع
الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة
وذكرها. وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها.
وقوله تعالى : (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) أي لمن المختارين
المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون. (٧)

المطلب الثاني :

ذو الكفل عليه السلام :

نسب ذو الكفل - عليه السلام - :

هو ذو الكفل بشر بن أيوب -عليهما السلام- .(٨)

أدخل الله ذا الكفل في رحمته. أثنى عليه كعبد صابر وذكره مع إسماعيل وإدريس .(٩)

قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ .
سورة ص ، الآية : ٤٨ .

قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ *
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . سورة الأنبياء ،
الآيتان : ٨٥ ، ٨٦ .

عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال : لو أني استخلفت على الناس رجلاً يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل - فجمع الناس فقال : من يتقبل مني بثلاث استخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب .

قال : فقام رجل تزدرية العين فقال : أنا فقال : أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال نعم. قال فردهم ذلك اليوم ، وقال مثلها في اليوم الآخر ، فسكت الناس ، وقام ذلك الرجل فقال : أنا ، فاستخلفه.

قال : فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم.

قال : دعوني وإياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير ، فاتاه حين أخذ مضجعه لليلة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة ، فدق الباب فقال : من هذا؟ قال شيخ كبير مظلوم. قال : فقام ففتح الباب ، فجعل يقص عليه ، فقال إن بيني وبين قومي خصومة ، وأنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا ، وجعل يطول عليه حتى حضر الروح وذهبت القائلة فقال : إذا رحمت فأتني أخذ لك بحقك. فانطلق وراح فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب ، فقال : من هذا؟ فقال الشيخ الكبير المظلوم. ففتح له فقال : ألم أقل لك إذا قعدت فأتني؟ قال إنهم أحبث قوم ، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا : نحن نعطيك حقه وإذا قمت جحدوني ، قال : فانطلق فإذا أرحمت فأتني. قال : ففاتته القائلة ، فراح ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله : لا تدعن

أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شق عليّ النوم ، فلما كان تلك الساعة جاءه فقال له الرجل ورائك فقال : قد أتيتك أمس فذكرت له أمري ، قال : والله ، لقد أمرنا أن لا ندع أحداً يقربه. فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا يدق الباب ، قال : واستيقظ الرجل ، فقال : يا فلان : ألم أمرك؟ قال : أما من قبل والله فلم تتوت ، فانظر من أين أتيت؟ قال : فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا هو معه في البيت فعرفه ، فقال : أعدو الله؟ قال : نعم ، أعييتني في كل شيء ففعلت كل ما ترى لأغضبك. فسماه الله ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوفى به. (١٠)

المبحث الثاني

هارون واليسع عليهما السلام

المطلب الأول :

نسب هارون عليه السلام :

هارون بن عمران بن قاهث بن عازد.(١١)

عن أنس بن مالك (إن رسول الله - ﷺ - حدثهم عن ليلة أسري به ، حتى أتى السماء الخامسة فإذا هارون ، قال هارون فسلم عليّ ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنجي الصالح.(١٢)

وهو شقيق موسى - عليه السلام - وقد بعثه الله رسولاً مع موسى معيناً له في دعوته. وقد استجاب الله دعاء موسى حين طلب من ربه أن يجعل له هارون وزيراً ومعيناً في تبليغ الدعوة ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ . سورة طه ، الآيات من ٢٩ إلى ٣٢ .

فوهب له هارون وأعطاه النبوة رحمة منه جل وعلا. كما قال الله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ . سورة مريم ، الآية : ٥٣ .

وإذا ذكرت دعوة موسى ذكرت دعوة هارون مقرونة بها ، فقد أرسلوا إلى فرعون وهامان وقارون ، وكانوا رسولين إلى بني إسرائيل. (١٣)

قال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَنَّآ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا مِنَ الْغَالِبِينَ * وَءَايَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرْكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . سورة الصافات ، الآيات من ١١٤ إلى ١٢٢ .

يقول تعالى ذكره : ولقد تفضلنا على موسى وهارون وعمران ، فجعلناهما نبيين ، ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبودية آل فرعون ، وقوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) يقول ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله ياغراقنا لهم فكانوا هم الغالبين لهم .

عن قتادة (وَءَايَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) التوراة ويعني بالمستبين : المتبين هدى ما فيه وتفصيله وأحكامه .

وقوله (وَهَدَيْتُهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) يقول تعالى ذكره : وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم الذي لا إعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه وقوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ) يقول تركنا عليهما في الآخريين بعدهم الشاء الحسن عليهما.

قوله : (سَلِّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) يقول : وذلك أن يقال : سلام على موسى وهارون. وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول هكذا نجزي أهل طاعتنا والعاملين بما رضينا عنهم. (إِنَّهُمْ آمِنٌ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان. (١٤)

الصَّلَاةُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ
وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ
عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ
أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ *
وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ * ءَاَلْكَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ
نُنَجِّيكَ بِدَنَّاكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَن ءَايَاتِنَا
لَغَافِلُونَ * وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا
أَخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

سورة يونس ، الآيات من ٧٥ إلى ٩٣ .

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُؤْتَمِرٌ *
قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ * قَالُوا

أَجْتَنَّا لِنَلْفِنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا حُنُّ
 لَكُمْ إِيْمُونِينَ) والآيات التي بعث بها موسى إلى فرعون وملئه هي
 الآيات التسع المذكورة في سورة الأعراف تلقي فرعون وملئه لآيات
 الله.

(فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) . (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا)

بهذا التحديد (من عندنا) ليصور شناعة الجريمة فيما قالوه عن هذا
 الحق الصادر من عند الله (قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِّمَّنْ) .

بهذا التوكيد المتبجح الذي لا يستند مع هذا إلى دليل. (إِنَّ هَذَا
 لِسِحْرٌ مِّمَّنْ) كأنها جملة واحدة يتعارف عليها المكذبون في جميع
 العصور.

(قَالَ مُوسَى أَنْتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) .
 فالسحر لا يستهدف هداية الناس ، ولا يتضمن عقيدة ، وليس له
 فكرة معينة عن الإلوهية وعلاقة الخلق بالخالق ولا يتضمن منهاجاً
 تنظيمياً للحياة . فما يختلط السحر بهذا ولا يلتبس . وما كان
 الساحرون ليؤدوا عملاً يستهدف مثل هذه الأغراض ، ويحقق مثل
 هذا الاتجاه ، وما كانوا ليفلحوا وكل عملهم تخييل وتزييف .

وهنا ينكشف الملاء عن حقيقة الدوافع التي تصدهم عن التسليم
بآيات الله.

(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِبَادًا وَعَلَيْهِمْ أَتَاءٌ نَّأْتُهُمْ وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ) وإذن فهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة ،
التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي وهو الخوف على
السلطان في الأرض ، هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات
عقائدهم الموروثة أنها العلة القديمة الجديدة ، التي تدفع بالطغاة إلى
مقاومة الدعوات ، وانتحال شتى المعاذير ، ورمي الدعاة بأشنع
التهم ، والفجور في مقاومة الدعوات والدعاة إنما هي (الكبرياء في
الأرض) وما تقوم عليه من معتقدات باطلة يحرص المتجبرون على
بقائها متحجرة في قلوب الجماهير ، بكل ما فيها من زيف ، وبكل
ما فيها من فساد ، وبكل ما فيها من أوهام وخرافات. لأن تفتح
القلوب للعقيدة الصحيحة. واستنارة العقول بالنور الجديد ، خطر
على القيم الموروثة ، وخطر على مكانة الطغاة ورهبتهم في قلوب
الجماهير ، وخطر على القواعد التي تقوم عليها هذه الرهبة وتستند
. إنما الخوف على السلطان القائم على الأوهام والأصنام وعلى
تعبيد الناس لأرباب من دون الله. ودعوة الإسلام على أيدي الرسل
جميعاً إنما تستهدف تقرير ربوبية الله وحده للعالمين ، وتنحية الأرباب

الزائفة التي تغتصب حقوق الإلهية وخصائصها ، وتزاو لها في حياة الناس . وما كانت الأرباب المستخفة للجماهير لتدع كلمة الحق والهدى تصل إلى هذه الجماهير . ما كانت لتدع الإعلان العام الذي يحمله الإسلام بربوبية الله وحده للعالمين وتحرير رقاب البشر من العبودية للعباد ما كانت لتدع هذا الإعلان العام يصل إلى الجماهير وهي تعلم أنه إعلان بالثورة على ربوبيتهم والانقلاب على سلطانهم والانقضاء على ملكهم ، والانطلاق إلى فضاء الحرية الكاملة اللاتقة بالإنسان.

إنها هي العلة القديمة الجديدة كلما قام من يدعو إلى الله رب العالمين. خشى الملأ من قوم فرعون على سلطانهم في الأرض فقالوا متبجحين (وَمَا نَحْنُ بِالْكَافِرِينَ) وتعلق فرعون وملئه بحكاية السحر ، وأرادوا أن يفرقوا الجماهير بها ، بأن يعقدوا حلقة للسحرة يتحدون بها موسى وما معه من آيات تشبه السحر في ظاهرها ليخرجوا منها في النهاية بان موسى ليس إلا ساحراً ماهراً. وبذلك ينتهي الخطر الذي يخشونه على معتقداتهم الموروثة وعلى سلطانهم في الأرض ، وهو الأساس.

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ).

وفي قول موسى (مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) رد على قهمة السحر التي وجهت إليه. فالسحر هو هذا الذي يصنعه هؤلاء ، لأنه ليس أكثر من تخيل وسحر للأنظار لا هدف له إلا اللعب بالعقول ، لا تصحبه دعوة ولا تقوم عليه حركة. فهذا هو السحر لا آيات الله التي جاءهم بها حقاً من عند الله. وفي قوله (إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ) . تتجلى ثقة المؤمن الواثق بربه ، المطمئن إلى أن ربه لا يرضى أن ينجح السحر وهو عمل غير صالح (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) الذين يضللون الناس بالسحر ، أو المملأ الذين جاءوا بالسحرة بنية الفساد والإبقاء على الضلال (وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) كلماته التكوينية (كُنْ فَيَكُونُ) وهي تعبير عن توجه المشيئة ، أو هي كلماته التي هي آياته وبيئاته.

(وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) فإن كراحتهم لا تعطل مشيئة الله ، ولا تقف دون آياته.

(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ * وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَٰمَنُومًا بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) .

إن الذين اظهروا إيمانهم وانضمامهم لموسى من بني إسرائيل كانوا هم الفتيان الصغار ، لا مجموعة من الشعب الإسرائيلي . وأن هؤلاء الفتيان كان يخشي من فتنهم وردهم عن اتباع موسى خوفاً من فرعون وتأثير كبار قومهم ذوي المصالح عند أصحاب السلطان والأذلاء الذين يلودون بكل صاحب سلطة وبخاصة من إسرائيل. وقد كان فرعون ذو سلطة ضخمة وجبروت ، كما كان مسرفاً في الطغيان ، لا يقف عند حد ولا يتحرج من إجراء قاس. وهنا لا بد من إيمان يرحم المخاوف ، ويطمئن القلوب ، ويثبتها على الحق

الذي تنحاز إليه : (وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنتُمْ آمَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ).

فالتوكل على الله دلالة الإيمان ومقتضاه . وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي فإذا هو أقوى واثبت . وقد ذكر لهم موسى الإيمان والإسلام . وجعل التوكل على الله مقتضى هذا أو ذاك مقتضى الاعتقاد في الله ، ومقتضى إسلام النفس له خالصة والعمل بما يريد .

واستجاب المؤمنون لهتاف الإيمان على لسان نبيهم : (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) ومن ثم توجهوا إلى الله بالدعاء (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) والدعاء بالألا يجعلهم الله فتنة للقوم الظالمين مقصود به ألا يمكن القوم الظالمين منهم ، فيظن القوم أن تمكنهم من المؤمنين بالله دليل على أن عقيدتهم اصح ، ولذلك انتصروا وهزم المؤمنون ويكون هذا استدراجاً لهم من الله ليلجوا في ضلالهم . فالمؤمنون يدعون الله أن يعصمهم من تسلط الظالمين عليهم .

(وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

ودعاؤهم الله ألا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين ، وأن ينجيهم برحمته من القوم الكافرين ، لا ينافي الاتكال على الله والتقوى به ، بل هو أدل على التوجه بالاتكال والاعتماد إلى الله. والمؤمن لا يتمنى البلاء ولكن يثبت عند اللقاء.

أوحى الله إليه وإلى هارون أن يتخذ لبني إسرائيل بيوتاً خاصة بهم ، وذلك لفرزهم وتنظيمهم استعداداً للرحيل من مصر في الوقت المختار ، وكلفهم تطهير بيوتهم ، وتزكية أنفسهم والاستبشار بنصر الله.

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوِّءَ الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بِيُوتًا وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قِبَلَهُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) .

وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية ، وهما معاً ضروريتان للأفراد والجماعات وبخاصة قبيل المعارك والمشاق . ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية ، ولكن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة تنبي بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة ، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي كثيراً في ساعة الشدة.

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون فيها أسوة ، ليست خاصة ببني إسرائيل فهي تجربة إيمانية خالصة ، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي ، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت وفسد الناس ، وأنتنت البيئة ، وكذلك الحال على عهد فرعون في هذه الفترة وهنا يرشدهم الله إلى أمور اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها ، لتطهرها وتركيها وتدربها وتنظمها حتى يأتي وعد الله لها .

اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي ، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح ، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور .

واتجه موسى عليه السلام إلى ربه وقد يئس من فرعون وملئه أن يكون فيهم خير ، وأن تكون قد بقيت فيهم بقية ، وأن يرجى لهم صلاح ، اتجه إليه يدعو على فرعون وملئه ، الذين يملكون المال والزينة ، تضعف إزاءهما قلوب الكثيرين ، فستهي إلى التهاوي أمام الجاه والمال وإلى الضلال واتجه موسى إلى ربه أن يدمر هذه الأموال

وان يشد على قلوب أهلها فلا يؤمنوا إلا حيث لا ينفعهم إيمان.
فاستجاب الله الدعاء.

(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى
قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا
فَأَسْتَقِيمَا وَلَا نَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

(رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا).

ينشأ عنها إضلال الناس عن سبيلك ، إما بالإغراء الذي يحدثه
مظهر النعمة في نفوس الآخرين. وإما بالقوة التي يمنحها المال
لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم.

ووجود النعمة في أيدي المفسدين لا شك يزعزع كثيراً من القلوب
التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أن هذه النعمة ابتلاء واختيار ،
وأما كذلك ليست شيئاً ذا قيمة إلى جانب فضل الله في الدنيا
والآخرة. وموسى يتحدث هنا عن الواقع المشهود في عامة الناس.
ويطلب لوقف هذا الإضلال ، ولتجريد القوة الباغية المضلة من
وسائل البغي والإغراء ، أن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها
والذهاب بها ، بحيث لا ينتفع بها أصحابها ، أما دعاؤه بأن يشد الله

على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب ، ومن أن يكون لها توبة أو إنابة . دعاء بأن يزيدها الله قسوة واستغلاقاً حتى يأتيهم العذاب ، وعندئذ لن يقبل منهم الإيمان ، لأن الإيمان عند حلول العذاب لا يقبل ، ولا يدل على توبة حقيقية باختيار الإنسان.

(قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا) كتبت لهما الإجابة وقضي الأمر.

(فَأَسْتَقِيمَا) في طريقكما وعلى هداكما حتى يأتي الأجل (وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فيخطوا على غير علم ، ويترددوا في الخطط والتدبيرات ، ويصيبهم القلق على المصير ، ولا يعرفوا إن كانوا يسرون في الطريق الهادي أم هم ضلوا السبيل.

(وَجَوْرْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ).

(وَجَوْرْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ) بقيادتنا وهدايتنا ورعايتنا.

(فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ). لا اهتداء وإيماناً ولا دفاعاً مشروعاً
ولكن (بَغْيًا وَعَدْوًا) وتجاوزاً للحد وطغياناً.

ومن مشهد البغي والعدو مباشرة إلى مشهد الغرق في ومضة.

(حَتَّى إِذَا دَرَكَهُ الْغَرَقُ) وعاین الموت ، ولم يعد يملك نجاة.

(قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

لقد سقطت عن فرعون الباغي العادي المتجبر الطاغي كل أرديته
التي تنفخ فيه فتظهره لقومه ولنفسه قوة هائلة مخيفة ، ولقد تضائل
وتصاغر فهو لا يكفي بأن يعلن إيمانه بأن لا إله إلا الله الذي آمن
به بنو إسرائيل فيزيد في استسلام (وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

(إِنَّ الْكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) الآن حيث لا اختيار

ولا فرار؟ الآن وقد سبق العصيان والاستكبار ؟ الآن (فَالْيَوْمَ

نُنَجِّيكَ يَدِنَاكَ). لا تأكله الأسماك ، ولا يذهب منكراً مع التيار لا

يعرف للناس ، ذلك ليدرك من وراءك من الجماهير كيف كان

مصيرك.

(لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً^٤) . يتعظون بها ويعتبرون ، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) . لا يوجهون إليها قلوبهم وعقولهم ، ولا يتدبرونها في الآفاق وفي أنفسهم.

(وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) .

والمبوء مكان الإقامة الأمين. وإضافته إلى الصدق تزيده أماناً وثباتاً واستقراراً كثبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يزعه اضطراب المكذب وترزع الافتراء . ولقد طاب المقام فترة لبني إسرائيل بعد تجارب طويلة وتمتعوا بطيبات من الرزق حلالاً ، حتى فسقوا عن أمر الله فحرمت عليهم. اختلافهم في دينهم ودنياهم ، لا على جهل ولكن بعد أن جاء العلم ، وبسبب هذا العلم ، واستخدامه في التأويلات الباطلة. (١٥)

المطلب الثالث :

نسب اليسع عليه السلام :

هو اليسع بن أخطوب بن عدي بن شوتلم. (١٦)
وهو من أنبياء بني إسرائيل لم يذكر القرآن شيئاً عن حياته سوى
ذكره في مجموعة من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم. (١٧)

قال الله تعالى : ﴿وَأِسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَانَ أَفْضَلْنَا
عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

سورة الأنعام ، الآية : ٨٦ .

قال الله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾^ط
سورة ص ، الآية : ٤٨ .

عن ابن إسحاق قال : ثم نبئ فيهم بعد إلياس - اليسع - فكان فيهم
ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخلوف
وعظمت فيهم الخطايا وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر
فيه السكينة وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون فكانوا لا يلقاهم
عدو فيقدمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأس هرة ميتة فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون إلى غيره ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا ما عهد إليهم ، نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا فقوتلوا حتى استلب من أيديهم ، فأتى ملكهم إيلاف فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب فمالت عنقه فمات كمداً عليه ، فمرج أمرهم بينهم واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من أحوالهم يتمادون أحياناً في غيهم وضلالهم ، فسلط الله عليه من ينتقم به منهم ، ويراجعون التوبة أحياناً فيكفيهم الله عند ذلك شر من يغاهم سوءا حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ورد عليهم تابوت الميثاق. (١٨)

الختام :

الأنبياء والرسل هم الذين اصطفاهم الله من بني البشر يحملون دعوته لعباده ، يبشرون من آمن منهم وعمل صالحاً بحسن الثواب والمكافأة في الحياة الدنيا والآخرة ، وينذرون من كفر وعمل سيئاً بالعقاب وسوء المصير.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . سورة الأنعام ، الآية : ٤٨ .

النتائج :

١. أن حياة الأنبياء هي التي يجدر أن تتخذ أسوة وأن سير الرُّسل هي التي تستحق أن تكون قدوة لني آدم أجمعين من بين سائر الطوائف العليا من الناس.
٢. أن الأنبياء عليهم السلام قد قاموا بأعظم الانجازات الحضارية منذ فجر التاريخ ، كما أنهم قادوا حركات التنوير ، وتصدروا ثورات التصحيح ، والإصلاح بكافة صورته.

التوصيات :

١. أوصي الاهتمام بدراسة سير أنبياء الله.
٢. أوصي الاهتمام بالقرآن الكريم للتأمل والتدبر واستلهام الدروس والعبر فهو أصل العلوم.

فهرس الهوامش :

١. القرآن الكريم.
٢. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، ط ٢ (السعودية : جدة ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والإرشاد ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص ٥٩.
٣. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، ج ٢ (بيروت : دار الفكر العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع ، ص ٤٥١ ، ٤٥٢.
٤. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٢ ، ط ١٠ (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص ٢١٤٧ ، ٢١٤٨.
٥. تفسير الجلالين ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر ، جلال الدين محمد بن أحمد (بيروت : دار إحياء التراث العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع ، ص ٦٩١.
٦. بنو إسرائيل في ميزان القرآن ، صابر طعيمة ، ط ١ (لبنان : بيروت ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٩٧٥م) ص ١٣٧ ، ١٣٨.

٧. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٠ .
٨. مختصر انساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، مرجع سابق ، ص ٧١ .
٩. أنبياء الله ، أحمد بهجت ، ط ٢٨ (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، ص ١٧٣ .
١٠. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج ٩ ، ط ١ (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص ٧١ .
١١. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .
١٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز ، ط ١ (القاهرة : دار الحديث ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً) إلى قوله (بالوادي المقدس طوى) حديث رقم ٣٣٩٣ ، ج ٦٧ ، ص ٥١٤ .

١٣. النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني (بدون ذكر تاريخ الطبع والنشر) ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٥١٩ ، ٥٢٠ .
١٥. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٨١٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ .
١٦. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .
١٧. مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم ، عفيف عبد الفتاح ، ط ٧ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٩م) ص ٣٠٤ .
١٨. تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج ١ (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) بدون ذكر تاريخ الطبع ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

فهرس المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم.
٢. النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني (بدون ذكر تاريخ الطبع والنشر).
٣. أنبياء الله ، أحمد بهجت ، الطبعة الثامنة والعشرون (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
٤. بنو إسرائيل في ميزان القرآن ، صابر طعيمة ، الطبعة الأولى (لبنان : بيروت ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٩٧٥م).
٥. تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) بدون ذكر تاريخ الطبع.
٦. تفسير الجلالين ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر ، جلال الدين محمد بن أحمد (بيروت : دار إحياء التراث العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع.
٧. تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (بيروت : دار الفكر العربي) بدون ذكر تاريخ الطبع.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الأولى (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز ، الطبعة الأولى (القاهرة : دار الحديث ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
١٠. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة العاشرة (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م).
١١. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام من أبي البشر آدم إلى محمد الخاتم ، محمد أحمد ياسين ، الطبعة الثانية (السعودية : جدة ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والإرشاد ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
١٢. مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم ، عفيف عبد الفتاح ، الطبعة السابعة (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٩م).